الفصل الخامس عشر

معالجة مشاكل المراهقين من التمرد والتّهاون ومشاكل الجنس وحمايته من أخطارها وزواجه المبكّر

البحث الأول:

معالجة مشكلة تمرّد المراهق على أسرته

يكاد يُجمعُ علماءُ النّفسِ على أنّ المراهق يعيش في صراع دائم مع والديه، وأنّه من حين المراهقة يتمرد على جميع أوامر الوالدين ويبدي اعتراضه في صور كثيرة تميل أغلبها إلى المكابرة والعناد.

وبعضهم دائم النّقد لأهله وذويه بأنّهم متخلفون عن الركب، بعيدون عن المدنية بما فيها من تطورات؟.

يضيق بالمنزل ويراه قذراً، وبأثاثه الذي يراه لا يستحق الاهتمام، ولا يليق بمكانة الأسرة كما يحلم هو بها.

مثل هذه التّصرفات اللاّسوية تهدّ كيان الوالدين وتجعلهما في حيرة من هول ما يحدث لأبنائهم، فبعد أن كان الولد طفلاً لطيفاً سلس القياد، وبعد أنْ مرَّ بطفولة هادئة نجده ينقلب فجأة إلى شخص عنيد جامح السّلوك والأفكار صعب المراس[1].

هذا السّلوك الشّاذ المنحرف ناشىء عن قصور في مناهج التربية الحالية وذلك أنّ مناهج التّربية الحالية ترفع أصولها برفات من الفكر الشرقي أو الغربي الضحل الذي

(١) دليل الوالدين في معاملة المراهقين، ص ١٠.

أنتج شخصياتٍ مضطربةً، ينتحر منها أعدادٌ كثيرة ولا يزال كثير من المفكرين في مجتمعنا يصر على ترقيع مناهجنا التربوية تحت ستار من الدعاوى الباطلة، كالمعاصرة والتجديد والحداثة وغير ذلك، كما أنّ الإعلام قد ساعد على نشر الثّقافات الغربية الغازية بالكلمة المقروءة والمسموعة والصورة المشاهدة فعمل على إغراء المراهقين والمراهقات على التّمرّد على السلطة الأُسريّة والمنزليّة، بما زيّنُوه لهم بأن ذلك مظهرٌ للذاتية وإثبات لوجودها الحقيقي، وأغرى المراهقين بالخروج عن كل مألوف ونبذ كل قديم، أو الشّك فيه، وبذلك ساء السّلوك الفردي لبعض المراهقين مع أفراد الأسرة، فلم يزل سلوك كثير من المراهقين يتّسم بالهدوء والاستقرار بفضل الله تعالى ثم بفضل البقية الباقية من التّربية الإسلامية.

إنّ منهج التّربية الإسلاميّة الذي ربّى عليه رسول الله ﷺ أبناءَ أصحابه لا يعرف التّمرّد ولا يعترف به، ولا يجعله علامةً على فردية المراهق واستقلاله، فإن قريشاً حين قاطعتِ المسلمين وحاصرتهم واضطرتهم إلى العيش ثلاث سنين لا يبيعونهم ولا يشترون منهم، وقاطعوهم اجتماعياً، فلا يُزوّجُونهم ولا يتزوّجون منهم، لقد ضمَّ شَعْبُ أبي طالب عدداً كبيراً من الصّحابة المراهقين والشباب، وكان من أبناء بعض الصحابة مراهقين، وقد أسلم مراهقون أَلِفُوا حياةَ التّنعّم والرّفاهية وسعة الرّزق، أمثال مُصعب بن عُمير، وطلحة بن عُبيد اللَّه، والزّبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم من الصحابة ﷺ الذين أسلموا في سنٍّ مبكّرةٍ بين العاشرة والسّادسة عشرةَ، وقد عاشوا المحنة فما وَهَنُوا لِما أصابهم من الجوع والظمأ، وما تمرَّدُوا على شظَفِ العيش منذ بلغ بهم الجَهْدُ أن أكلوا أوراق الشّجر، وربطوا بطونهم ليُخفّفوا من حدّة اضطرابِ المعدة الخاوية، وقد صبروا على ما أصابهم فما زادهم ذلك إلّا إيماناً وثباتاً، فلم يحمل التّاريخُ صرخةً لمراهق بطلب الطعام أو الاستزادة منه، فضلاً عن أن يستحقر أثاث البيت، وقد يقول قائل: وحق له أن يقول بأنّ هناك فرقاً كبيراً بين الأوضاع الاجتماعية في ذلك العصر وبينها في العصر الحاضر، وحق لنا أن نقول إنّ التّربية الصّادقة الحقّة لا تختلف بالأوضاع الاجتماعية ولا يتباعد ما بينَ العصور، فتمرد بعض المراهقين ورفضهم لواقع المعيشة الأسريّة دالٌّ على قصور

في التّربية يجب العمل على تلافيه. إنّ الفرد المسلم لا يكمل إيمانه إن وجد في نفسه مشاعر منحرفة وضيعة تجاه أيّ فردٍ من عباد الله فضلاً عن أن يكون ابناً أو أباً. إنّ الأب المسلم يظل مشغولاً بأبنائه يحبهم ويحرص على سعادتهم وعلى أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ويحرص على بعث المحبة والمودة بينَ جميع أبنائه مراهقين وغير مراهقين، وكما يحرص في تربيتهم على الاحترام المتبادل بين الصّغار والكبار منهم، ولقد ضرب الإمام عليّ كرّم الله وجهه مثلاً صادقاً للأب المسلم الذي لم تشغله جراحه وآلامه النّابحة في بدنه وكل لحظة تدنيه من أجله عن وصية أبنائه فيقول لابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما: «أيْ بُنيَّ أوصيكما بتقوى الله وإقام الصّلاة لوقتها وإيتاء الزّكاة عند محلّها، وحسن الوضوء فإنّه لا تُقبل صلاةٌ إلّا بطهور يغفر الذّنب، وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجهل والتفقّه في الدِّين والتّثبت في الأمر وتعاهد القرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش. ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال: حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: فإنّي أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقّهما عليك، فلا تقطع أمراً دونهما، ثم قال لهما: أوصيكما به فإنّه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أنّ أباكما كان يُحبّه»[1].

إنّ المراهق السّوي هو مَنْ يستمعُ إلى نصيحة والديه ويُطيع ويتقبّل الأمر إن كان لا يحتمل النّقاش، وإن احتمله يُناقش ثم يأخذ به أو يدع، وحين يدع يلتزم الأدب الواجب نحو والديه أو أحدهما. لقد اهتم منهج التّربية الإسلاميّة بالقدوة الحسنة والأسوة الطيبة، فهي دعامة أساسية للتّربية المستقيمة في محيط الأسرة والمدرسة والمجتمع بأسره.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القدوة الحسنة قولاً وعملاً، وأخلاقاً وآداباً، وسلوكاً ومنهجاً!.

(١) المعجم الكبير، ج ١، ص: ١٠١ للحافظ أبي القاسم الطبراني.

البحث الثاني:

معالجة مشكلة تأخير المراهق لأداء العبادات

تجبُ تربيةُ المراهق على عدم تأجيل الفرائض والواجبات. إن الإسلامَ يرفضُ الإهمالَ والتّفريطَ بجميع أشكاله وألوانه، ويحرص على تربية عادة المبادرة إلى العمل بعدم تأجيل الفرائض الدّينية المتكررة منها وغيرها، كي لا تتراكم الواجباتُ فتثقل على النّفس، أو أن يعجز المراهق عن مدافعة الوساوس الشيطانية التي تشده إلى التّراخي والكسل أو التأجيل لأداء هذه الفرائض عن أوقاتها المحددة، وهو بمثابة الخطوة الأولى عن طريق الإهمال والتّرك والتّضييع لِما فرضَهُ الله سبحانه على عباده، والمراهقُ منذُ فجرِ المراهقةِ يدخل في عداد المكلّفين بهذه الفرائض (الصّلاة - الصّوم الحج - الزكاة).

وتُعتبر الصّلواتُ المفروضةُ بأوقاتها المحددة قاعدة أساسية لتربية هذه العادة في سلوك المسلمين جميعاً، وفي سلوك المراهق بصفةٍ خاصّة، ليتربّى على فضيلة الاهتمام بأداء الصّلاة لوقتها، وأن يحرص على أن تكون في جماعة، وأن لا يؤجلها عن أوّل وقتها إلّا لعذر أو لضرورة مانعة، وقد أثبتَ القرآنُ في تربية وتأصيل هذه العادة الترغيب والترهيب كعاملين أساسيين في تحريك الباعثَ على هذا السّلوك، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[1].

لقد امتدحَ الله سبحانه وتعالى المؤمنين لتحليهم بالصّفات الزّاكية التي جعلتهم أهلاً للفلاح والفوز بجنّةٍ عرضُها السّموٰات والأرض، ونعيم دائم لا ينقطع، ورضوان الله أعظم وأكرم، وقد كان الخشوعُ في الصّلاة من أولى الصّفات التي أحلتهم دار الكرامة والنّعيم، وقد أعيد ذكر الصّلاة مرّة ثانية في عداد الصّفات العالية دلالة على اعتياد المؤمنين على أداء الصّلاة والمحافظة عليها في أوقاتها والخشوع فيها، وفي

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩.

هذه الإعادة دلالة على أنّ الخشوع في صلاة واحدة أو صلواتٍ في بعض الأيام دون بعض لا يتحقّق معه الفضلُ والنّعمة بكمالها وتمامها، بل إن تمام الفضل والنّعمة يستوجب من المراهق المسلم - وجميع المسلمين رجالاً ونساءً - المحافظة على الصّلوات المفروضة في أوقاتها وأن تُؤدَّى في خشوع وخُضوع، مستوفية الأركان والهيئات والآداب، وأن يكون المراهق حاضرَ القلبِ والذّهن فلا تصرفه الدّوافع والشّواغل أو الانفعالات، فإذا ما عرض له الشّيطان بشيءٍ من ذلك ليفسد عليه صلاتَهُ فليصرفه بالإقبال على ربّه، وليُشْغِلَ نفسَهُ بما يُناجي ربَّهُ به في صلاته فإنّ الشّيطان لا يندفع بغير ذلك، فإنّ الاسترسال مع ما يثيره الشّيطان من دوافع ووساوس يُفْقِدُ الصّلاةَ قيمتَها الحقيقية، فلا تعدُو أن تكون حركات من قيام وركوع وسجود، كما تفقد تأثيرَها في النّفس والسّلوك.

إنّ الله سبحانه وتعالى كتب الصّلاة على جميع عباده - مراهقين وراشدين ذكوراً وإناثاً - وأمرهم بالمحافظة عليها في جميع الأمور والظروف والأحوال، فالصّلاة هي الفريضة الوحيدة التي لا تُرفع بعُذْرٍ من الأعذار ولا بضرورة من الضّرورات، فإنّها واجبة ما دام في الصّدر نَفَسٌ يتردّد - مع الوعي والإدراك - في السلم والحرب على السّواء، ويُؤديها أصحابُ الأعذار كالمرضى ومَنْ في حكمهم بالهيئات التي تتناسب مع إمكانيّاتهم واستعداداتهم قياماً أو قعوداً أو متّكئين وما إلى ذلك من حالات القدرة والاستطاعة. قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾(١).

والآية الكريمة تُقرّر وُجوبَ أداءِ الصّلاة أثناءَ القتال والالتحام مع الأعداء فيُؤدّيها المؤمنون على النحو الذي يستطيعونه رجالاً أو ركباناً متجهين للقبلة أم منحازين أم مستدبرين، أمّا الركوع والسُّجود وهما من الهيئات المتعذّرة أثناء الالتحام فتكفي الإشارة عنهما، ويستمر المجاهد في قتاله لأعداء الله تعالى متحصّناً بصلاته

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨ - ٢٣٩.

قريبَ الصّلة بربِّهِ، يرجو رحمتَه ونَصْرَهُ على الأعداء. وهذا الأمرُ عجيبٌ، وهو يكشف عن مدى الأهميّة البالغة التي ينظر الله بها إلى الصّلاة، ويُوحي بها لقلوب المسلمين إنّها عدّةٌ في الخوف والشّدّة، فلا تترك في ساعةِ الخوفِ البالغِ، وهي العُدّة!! ومن ثم يُؤدّيها المحارب وهو في الميدان، يُؤديها، والسّيف في يده، فهي سلاح المؤمن، كالسّيفِ الذي بيده وهي جُنّةٌ له كالدّرع التي تقيه من كل بأسٍ وشرٍّ.

روى الإمام البخاري عن شُعبة قال: قال الوليد بن العيزار: سمعتُ أبا عمر والشّيباني يقول: حدثنا صاحب هذا الدّار، وأشار إلى دار عبد اللّه، قال: سألتُ النّبيّ ﷺ: أيُّ العَمَلِ أحبُّ إلى الله؟ قال: «**الصّلاةُ على وقتها**» قال: ثم أيٌّ؟ قال: «**ثم بِرُّ الوالدين**» قال: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيل الله**». قال: حدثني بهنّ، ولو استزدتُهُ لزادني[1].

إنّ الاعتصام بهذا الهدي الكريم يُؤدّي إلى تأصيل عادة المبادرة في النّفس للقيام بالواجب دون التّراخي فيه، فالصّلاة المفروضة خمسُ صلواتٍ في اليوم واللّيلة، وهي متكرّرة مع كل يوم تُشرق فيه الشّمسُ، فالمحافظةُ عليها والمبادرة إلى فعلها تُربّي في المراهق عادةَ الاهتمام والمبادرة إلى أداء كل فعل واجب أو مندوب. وتحول دون تأجيل الفرائض والمندوبات، لِما في ذلك من الضّرر الذي يعود على الفرد والمجتمع، فإن المبادرة إلى العمل كانت ولا تزال ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية.

وعلى طريق التّخويف والتّحذير من الإهمال والتّقصير النّاشىء عن تأجيل الصّلاة عن وقتها، يقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾[2]. والسهو عن الصّلاة يتحقق بأحد أمرين أو بكليهما:

الأوّل: تأجيل الصّلاة وتأخيرها حتى تزهق وقتها أو تخرج عنه.

الثّاني: أن يكون غافلاً عنها في حال أدائها فلا يتجرّد فيها تجرّداً كاملاً لله، فإذا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصّلاة، باب فضل الصّلاة لوقتها.
(٢) سورة الماعون، الآيتان: ٤ - ٥.

انتابته وساوس شيطانيةٌ تجذبه إلى التّفكير في الحياة الدنيا لينصرف عن صلاته فيتحقق للشيطان غرضه، فيصبح بذلك أداؤه لأركانها وآدابها وسننها عملاً آلياً لا تعقّل فيه، فليبادر بالإقبال على صلاته تفكّراً فيما يقرأ وما يذكر حتى تخلص له صلاته وينصرف الشّيطان عنه.

عادة عدم تأجيل الواجبات المدرسية:

إن تربية عادة الاهتمام بالفرائض والواجبات الدينية والمحافظة عليها وأدائها في أوقاتها المناسبة تعين على تربية عادة عدم تأجيل الواجبات المدرسية، وهي عادة لها أهميتها في حياة المراهق العلمية والعملية، فالعادات الدراسية الحسنة تُؤهّل المراهق للنّجاح الدّائم والتّفوّق المستمر، فالمراهق الذي يحسن تنظيم وقته وتوزيعه بما يتناسب مع متطلّبات المواد الدّراسية، يستفيد بعنصر الوقت ويوجه طاقاته إلى ما يفيده ويُفيد مجتمعه.

إنّ المراهق الذي يعتاد تقسيم أوقات المذاكرة إلى قسمين رئيسين بإمكانه تحقيق مستوى عال من التّفوّق في مدّةٍ وجيزة، إنّ تخصيص وقت مناسب لمراجعة المواد الدراسية التي تمت دراستها يؤدي إلى تثبيت المعلومات، كما أن تخصيص وقت مناسب للموضوعات التي سوف تُدرّس في الغد يُؤدّي إلى سرعة التّحصيل وارتفاع مستواه ذلك أن العادة: تمنحك النّجاح لأنّك بواسطة عادات الدّرس والكدّ والنّشاط والاجتهاد المكتسبة تُشرب نفسَكَ بتلك الشّخصية، والفطنة التي تجعل النّجاحَ نتيجةً طبيعيةً حتمية لحياتك وعملك، وذو العادات الحسنة لا بدّ أن ينجح ضمن حدود عبقريته[1].

إنّ تنظيم المراهق لأوقات فراغه وتخصيص الجزء الأكبر منها للمذاكرة والدّراسة والنّظر في العلوم المفيدة، يُكسبه الشعور بالاطمئنان والثّقة بالنّفس وقوة العزيمة وثباتها على معالي الأمور.

(١) علم النفس في حياتنا اليومية، ص ١٤١ سمير شيخاني.

تربية عادة الصّدق:

إنّ تربية عادة الصّدق في نفس المراهق - وكل مسلم رجل أو امرأة - تؤدي إلى ضبط السلوك الفردي فتكفه عن الألفاظ والأعمال التي لا يقبلها المجتمع المسلم، كما تشجعه على القول السديد لكي يعيش في أمنٍ مع أفراد مجتمعه، ويكْتَسِبَ محبّتَهم واحترامَهُم.

إنّ القرآن الكريم يبيّن أنّ الصّدق دعامةٌ أساسيّةٌ للخُلُق الفاضل والمجتمع الفاضل، كما أنّ الصّدق دعامة أساسيّةٌ لنهضة المجتمع وتقدّمه وتماسكه، فإنّ تحرّي الصّدق في جميع المواقف يدفع عن المجتمع المسلم غائلةَ الظّنون لتبقى الحقائقُ راسخةً لا يغشاها ظنّ أو ريب، ما دامتْ عادةُ الصّدق تسود سلوكَ أفرادِهِ. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾(١).

إنَّ الإسلامَ لا يُؤسّس أحكامه على الظّنّ الواهم، بل يُحتّم وضُوحَ الحقائق، وهو بهذا يُرسي للمجتمع الإنساني الأُسس التّربويّة والأخلاقية التي تضمن أن تسير فيه الحياة في ثبات واستقرار. إنَّ عادة الصّدق دعامةٌ أساسيّة في خُلُقِ المراهق المسلم وصبغة دائمةٌ ثابتةٌ في سلوكه وعلامة على قوّة إيمانه ويقينه، ولمّا كان الكذبُ رذيلةً تُنبىء عن تغلغل الفساد في نفس كلّ كذّابٍ أشرٍ، كما تُنبىء عن سلوكٍ معوجٍّ شاذٍّ، وجدنا رسول الله ﷺ يدعو إلى التحلي بعادة الصّدق ويحرض عليها، ويرشد إلى أُسس تربيتها، كما يُحذر من الكذب ويُنفّر منه لتتكوّنَ عادةُ كراهية الكذب، فتكون عاملاً مساعداً لتربية عادة الصّدق في نفوس أفراد المجتمع المسلم، ذلك أن المجتمع الذي تسُودُ فيه عادةُ الصّدق تَقْوَى فيه الروابطُ الاجتماعية وتُحفظ الحقوقُ وتُصان العُهودُ، ومن هنا تظهر حاجةُ المجتمعات إلى تربية عادة الصّدق والعمل على تنميتها، روى الإمام مسلم عن عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الصّدقَ يهدي إلى البرّ، وإنّ البِرَّ يهدي إلى الجنّةِ. وإنّ العبدَ ليتحرَّى الصّدق حتى يُكتبَ عندَ**

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

الله صدّيقاً. وإن الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإنّ الفُجورَ يهدي إلى النّار وإنّ العبد ليتحرَّى الكذب حتى يكتبَ عندَ الله كذّاباً»[١].

البِرُّ كلمةٌ جامعة لأبواب الخير والفضل، فهو جامع لأصول الدِّين كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجامعٌ للفرائض، كإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة والصّوم، وجامعٌ للمندوبات والسّنن. كبذلِ المالِ في وجوهِ الخير لليتامى والمساكين، وجامع لمبادىء الإسلام وآدابه العليا، كالوفاء بالعهد والصّبر عند البأساء والضّراء وحينَ البأس، وأبواب الخير السابقة تفتقر إلى الصّدق كدعامةٍ أساسيّةٍ لوجودها الحقيقي، ذلك أنّ المؤمن الحق من تطابق ظاهره مع باطنه.

إنّ خُلُقَ الصّدق في حياة الإنسان قابل للاكتساب، وقابل للتنمية والتّرسيخ، عن طريق التدريب العملي المقترن بالإرادة الجازمة، فمن مظاهر الإرادة الجازمة تحري الصّدق في الأقوال كلها، والذي يتحرى الصّدق لا يسمح لنفسه بأن يلقي كلاماً جُزافاً دون تروٍّ ولا بصيرة، ولا يسمح لنفسه بأن يتبع ما ليس له به علم، فيحكم بالظّنُون التي ليس لها ما يُؤيّدها من الأدلة الكافية للإثبات والنّفي، ولا يسمح لنفسه بأن يرائي أو يُنافق في أعماله لأنه يحرص على الصّدق ويتحرى بإرادته الجازمة الصّدق في أقواله وأعماله[٢].

وفي الحديث الشريف تحذيرٌ من عادة الكذب وتنفيرٌ منها، فليحذرِ المراهقُ من الكذبِ ولينفرْ منه ليحولَ دونَ سيطرتهِ على سُلوكهِ النّفسي والاجتماعي، ويلاحظ أن اقتران عادة الصّدق مع الكذب وعرضهما بهذه الصّورة، دعوة إلى تربية عادتين في وقت واحد وهما تربية عادة محبة الصّدق، وعادة كراهية الكذب.

ولقد امتدح الله سبحانه وتعالى الصّدق في محكم التّنزيل في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[٣].

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٦٠٧.
(٢) الأخلاق الإسلامية، ج ١، ص ٥٣٧.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾(١) (٢).

البحث الثالث:

معالجة المشكلات الجنسية للمراهق والمراهقة

إنّ سرعة النّموّ الجسمي في المراهقة تكون مصحوبة بالنّمو الجنسي، حيث تنمو الغدد الجنسية وتبدأ في الإفرازات المنوية، وتنمو الأعضاء التناسلية بشكل ملفت لانتباه المراهق، وينشأ تبعاً لذلك الرغبة في الممارسة الجنسية، التي قد تنحصر في بواكير المراهقة في الاستمناء أو الشّذوذ الجنسي الخبيث، إذ أنه من المحتمل أن تكون لدى المراهق فكرة منحرفة، أو سلوك جنسي منحرف قبل المراهقة، وهي حالات قليلة تنشأ عن الصحبة لأطفال منحرفين فقدوا التّربية والتوجيه داخل الأسرة، فيزودون غيرهم بالأفكار والممارسات المنحرفة التي تقع دون وعي من الطفل أو إدراك، وهو في الوقت نفسه لا يجد توجيهاً مناسباً من الوالد أو المدرّس أو المرشد ليُعرِّفَهُ بأسلوبٍ علمي راقٍ عن طبيعة الوظائف الفطرية لأعضائه التناسلية، ليقوده إلى معالجةٍ صحيحة لفاعلية الدوافع الجنسية في هذه المرحلة، حتى لا يتورط في الانحرافات السّلوكية التي تُؤثّر على نفسيّته وعلى سلوكه الاجتماعي، وتكاد تنحصر المشكلات الجنسية للمراهق في التّسكّع في الطّرقات لمعاكسة الفتيات.

خطر التّسكّع في الطّرقات:

إنّ التّسكّع في الطّرقات كثيراً ما يحدث من المراهقين، حيث يلتقي أفراد منهم فيسيرون في جماعة يلهون ويهزؤون، ويُصيبون المارّةَ والجالسين داخل بيوتهم أو محالّهم بالأذى، إذ تصدرُ منهم بعض العبارات السّاقطة والألفاظ النّابية التي تجرح

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
(٢) تربية المراهق - باختصار.

مشاعر الآخرين من الجنسين، وأحياناً ينخرط بعض المراهقين في هذه الجماعات دون رغبةٍ منهم لهذا السّلوك المنحرف، وإنّما لمسايرة الجماعة وعدم اتهامها له ببعض الصّفات التي لا يقبلها، أو التي تُسبّب له ضيقاً، ومن هنا تأتي أهمية متابعة الوالدين - وخاصّة الأب - لسلوك المراهق بالتّعرف على نوعيّة الأفراد الّذين يرافقهم أثناء قضائه لأوقات فراغه خارج المنزل، فإنْ وجدَ ثمَّةَ انحراف عالج ذلك الأمر بأسلوب هادىء يحفظ على المراهق اتّزانه النّفسي ولا يُعرّضه للحرج والضّيق، ويكون ذلك ببيان المضارّ التي تترتّبُ على الصُّحبة المنحرفة مع بيان المنافع التي تترتب على مصاحبة الشاب المعتصم بدينه الخلوق في سلوكه، ويستعين في ذلك ببعض ما لديه من أصولٍ دينيّة وآراء اجتماعيّة وأخلاقيّة.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ قال: «**إنّما مَثَلُ الجليس الصّالح والجليس السّوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامِلُ المِسْكِ إمّا أنْ يُحذيَكَ، وإمّا أنْ تَبْتَاعَ منه، وإمّا أن تجد منه ريحاً طيّبةً، ونافخُ الكيرِ إمّا أنْ يحرق ثيابَكَ، وإمّا أن تجدَ منه ريحاً خبيثةً**»(١).

ويرتبط تدفّق النّموّ بالرّغبة في التّجوّل، فالمراهق والمراهقة يُحبّان الخروجَ والسّيرَ لمدّةٍ طويلةٍ بغير هدفٍ، ولكن هذا التّجوّل لا يكون بريئاً في كثير من الأحيان بل يكون مشفوعاً بالرغبة في المغامرات المنحرفة عن الطريق القويم، فتنشأ حالات التّسكّع والمعاكسات، وأحياناً السّرقة والنّشل، وغير ذلك من انحرافات سلوكية التي يُمارسها بعض المراهقين المنحرفين.

إنّ الدّافع الجنسي يظلُّ ساكناً حتى يُثار بأحد العوامل التي تُؤدّي إلى تحريكه، وعند ذلك يُلح على المراهق شعورٌ جامحٌ بالرّغبة في تصريف الشحنة الانفعالية النّاشئة عن الإثارة، وتجتمع مثيراتُه في أفراد الجنس الآخر، وما يتعلّق بهنّ من الصّور والرّوايات الهابطة التي تعمل على إثارة الدّافع الجنسي بأسلوب قصصي لمواقف مُثيرة.

---

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين.

والرّغبة الجنسية عند الولد يمكن أن يُثيرها وجهٌ جميلٌ فقط، أو قَوَامٌ جميلٌ حتى ولو لم تكن شخصية الأنثى ذات جاذبية خاصّة.

إنّ المراهق يمكن أن تثيره مجرد الصّورة أو سطور القصص أو حتى الفكرة الخَيَاليّة.

وتُثار الفتاةُ المراهقة بما تشاهده من المظاهر الخارجية للمراهق، كاكتمال نموّه الجسمي وقوته ووجاهته، وحُسن هندامه، ومظاهر اليسر المالي، وإن كان الأخير يلعب أخطر الأدوار في المجتمع المعاصر، كما تُثار بقدرته على الدّعابة والفكاهة ومتابعته لكلِّ جديدٍ، إلى غير ذلك ممّا يجذب فتاةَ العصرِ الحديث، خلا قليلٍ من المراهقات المسلمات اللاّتي يعتصمن بهدي القرآن الكريم فتجذبهن مظاهر التّقوى والخُلُق الفاضلُ، وهذا شعورٌ فطري سليم.

لا شك في أنّ الكثير من السّلوك الصّادر عن الأنثى يثير المراهق على نحوٍ ما، فالحركة العابرة والمشية المتثنّية، وهي سلوك دائم للمراهقة، ولين الصّوت وترقيقه، وكشف بعض أجزاء العورة من بدنها كالذّراعان والسّاقان والنّحر وغير ذلك، وارتداء الملابس الرّقيقة الشّفّافة والضّيّقة التي تُبرز مفاتن الجسم، وتُبديه أشبه بالعري، كلُّ هذه مثيرات مصطنعة وَفَدَتْ إلى المجتمع المسلم عن طريق الثقافات الغربيّة الوافدة.

والمثيرات التي ذكرناها آنفاً للمراهقات أمرٌ فطري، تتعرّض له كلّ مراهقة، بلْ كلُّ فتاةٍ، فيأتي الحجابُ والحياءُ والحشمة «وعلى رأس ذلك خشية الله تعالى»، فتكون العصمة والحفظ بحمد الله تعالى.

وهنا لا بدّ من معرفة خاصّة للمثيرات الجنسيّة لدى الأنثى، لوقايتها من الوقوع في الفواحش؛ إنّ واقع «الشّهوة» عند الأنثى في مكمن الخمول - كغاز النّيون، خامل لا يُثار إلّا بتيارٍ كهربائي - فشهوة الأنثى أعمق بكثير من واقع الشهوة عند الذكر، فشهوة الذكر يُثيرها الكثيرُ من الأنثى، من جمال الوجه ورشاقة الجسم، والصّوت الناعم، والحركات المُتمَايلة، بل كل شيء في الأنثى يُثير شهوة الذكر، ولهذا حرّم الإسلام التّبرّجَ والتعطّرَ خارج البيت، واتباعَ النّظر إلى الأنثى، والخلوةَ بها لغير ذي مَحْرَمٍ.

أمّا الأنثى فالذي يُثيرها شيءٌ محدود - سنذكره فيما بعدُ- فواقع الإثارة لدى الأنثى لا يُشكّل عليها خطراً جسيماً إلّا في حالات الخلوات واللمسات المباشرة والكلمات الرّقيقة، فكلما كانت الأنثى بعيدةً عن هذه المجالات المحرجة فهي مأمونة الوقوع في الفاحشة. إنّ واقع الشّهوة الجنسية عند الأنثى خاملة، وإثارتُها تحتاج وقت طويل من المداعبة الحسّاسة لأعضاء مرهفة الحِسّ في جسمها، وهذا يعني أنّ الأنثى ما لم تقع تحت هذه المؤثّرات لا تشتهي العملية الجنسية، ولهذا كانت الأنثى تمتنع من الاستجابة الجنسية للذكر، ما لم تقع تحت تلك الإثارة الجنسية، والخطيرة على غير الزوجات.

والميول الغريزي للأنثى نحو الذّكر، ليس لمحض الشهوة الجنسيّة - كما هو الحال عند الذكر - بل للغريزة التي فطرها الله تعالى عليها، فهي أولاً مخلوقة «من آدم» قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[2]. فالأنثى للذّكر بالفطرة التي فطر الله النّاسَ عليها، ولهذا نجدها ملازمة الاهتمام به «أباً كان أم زوجاً أم أخاً أم ابناً» فالأنثى همّها الذّكر على أي مستوًى من حياتها.

وهذا الميول الغريزي للأنثى نحو الذكر عموماً لا يُشكّل خطراً على حياتها، بل لا بدّ من وجوده عندها، وإلّا كانت ناقصة، كالنقص الذي يُعيب «الرجل الذي لا مُيولَ له نحو الأنثى»، ولهذا نجدُ الإسلامَ في أحكام الزّواج وافياً في تقويمِ وتوجيهِ وترشيدِ لهذا المُيول الفطري الغريزي.

كما أحاط الإسلامُ هذا الميول الغريزي بالمحاذير للحفاظ على طهارة الأنثى، ولدفع الظنون المُريبة فيها؛ فحرّمَ الخلوةَ بها، وحرّم التّبرّج عليها.

فإن كان خروج المراهقة بالحجاب الشّرعي، فهي مأمونة في ميولها الغريزي، وهذا ما يجبُ إدراكُهُ ومعرفتُهُ في واقع الفتيات المحجّبات.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

أمّا إن كانت متبرّجة لا تتورّع من مخالطة الشّباب والمراهقين، فهذه التي يجبُ التّخوّفُ عليها، ولهذا لا نجدُ مبرراً يُعْذِرُ مَنْ يزدادُ شكاً وريباً وظنّاً من مجرّد خروج الفتاة وهي متحجّبةً، فيمنعُها من الخروج لوحدها، ويضربُ عليها الإقامةَ الجبرية، فيمنعها من الدّراسة أو المشاركة في الأعمال التي تناسب أُنوثتها كالتّعليم ونحوه، وهي محافظة على حجابها.

وعلى الآباء والمربّين والمربّيات أن يعلموا أنّ المراهقة إذا أحِيطتْ بالتّوجيه والإرشاد والتأدّب بآداب الحشمة، والتّخلّق بأخلاق الحياء، مع ضمان كفايتها المادّية، بحيث لا تكون محرومةً من غذائها وكسائها، مع السّكن الآمن، مع المراقبة المتوسطة المبنيّة على حُسْنِ الظّنّ بها - أي مع منح المراهقة الملتزمة بدينها الثّقةَ بشخصيّتِها وعفافها - فلن يُخْشَى عليها من الوقوع فيما يُدنّس شرفها!؟.

إنّ المراهقة لا تنحرف انحرافاً خطيراً إلّا لأحد هذه الأسباب:

١ - تعرّضها لعبث المستهترين بأعراض النّاس.

٢ - تجويعها وحرمانها من ضروريات العيش.

٣ - إفساح المجال للخلوة بها.

وما دون هذه الأسباب الخطيرة التي تُهدد عفاف المراهقة خصوصاً والفتاة عموماً، فإنّها في مَأْمَنٍ من السّقوط في هوّة الانحراف الخُلُقي، مع الرّعاية لها في جميع شؤون حياتها.

البحث الرابع:

وجوب حماية المراهق من الوقوع في الفاحشة

قد يقع المراهقُ في أخطار الزّنَا تحت ضغط فاعليّة الدّافع الجنسي النّامي المتدفّق بالحيويّة والنّشاط في هذه المرحلة، وضغط الأوضاع الأخلاقية والاجتماعية

التي انحرفت عن السّلوك الإسلامي الصّحيح في علاقات الفتى بالفتاة، وخروجها على الآداب التي شرعها الله تعالى لتحافظ على حيوية النّشاط الجنسي في كيان المراهقين والشّباب دون أن يتعرض لعوامل الإثارة المصطنعة، التي قد تدفع إلى الشّرّ في غياب الرّقابة الأسريّة على خلوات المراهقين والمراهقات، وخروجهم المتكرّر بليلٍ أو نهارٍ للنّزهة والفُسْحة أو قضاء أوقات الفراغ في الملاهي ودور السينما بحفلاتها الصّباحيّة أو المسائيّة، فقد تثمر اللقاءات المتكرّرة تورط المراهق والمراهقة في خطر الزّنا.

لقد حرّم الإسلامُ الزّنا وشدّدَ النّكير على من يفعله سواء كان مُراهقاً أو غير مراهق وحتّم على المجتمع المسلم عدم التهاون في شأن الزّاني والزّانية بإقامة الحدّ عليهما، ومنع أن تأخذهم بهما رأفةٌ في دين الله أو رحمة، وجعل ذلك ديناً وعقيدة مرتبطة بوجود الإيمان أو ضعفه.

قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فالزّنا إفضاءٌ للعامل الفطري «الجنس» لكنّه إفضاء فوضويٌّ خطير، غير هادفٍ، يقصدُ فاعلُهُ - من مراهقٍ أو مراهقةٍ، أو رجلٍ أو امرأةٍ - تحصيلَ الشّهوة الجسدية لذَاتِها، كما لا يفكر في إنشاء أسرة وإقامة حياة مشتركة، تقوم فيها الأبوّة بجانب الأُمُومة لرعاية النّسل، وهذا الانحراف بالدّافع الجنسيّ له تأثيرُهُ السّلبي الخطير على سلوك المراهق النّفسي والاجتماعي بعد اكتمال النّضج والتأهيل للزّواج، حيث تهتز الثقة في الجنس الآخر، وعادة لا يرتبطُ المراهق مع الفتاة التي تورّط معها في السّلوك المنحرف لانعدام ثقته فيها وسقوطها في نفسه، على الرغم ممّا قد يُظهره في بداية العلاقة والصّحبة من مودّة وتجاذبٍ وحبٍّ، ولا يرجع تحريم الإسلام للزّنا إلى أنّه يستقذر الدّافع الجنسي، أو أن ينكره، أو أن رسالته تقوم على إضعافه والتخلّص منه أو أنه يعتبره رجساً من عمل الشيطان، بل حرّمه الله سبحانه وتعالى لِما يترتّب عليه من

(١) سورة النور، الآية: ٢.

مضارّ نفسيّةٍ واجتماعية ربطها الله تعالى بالعامل الفطري، وخلق الإنسانية مزوّدةً به، ولقد حرص الإسلامُ على تلبيته مع ملائمة ظروفه، ومنع إضعافه والتخلّص منه بالاختصاء.

عن ابن مسعود ﷺ قال: كنّا نغزو معَ رسول الله ﷺ ليس لنا نساء، فقلنا: يا رسولَ الله، ألاَ نستخصي؟ فنَهانَا عن ذلك[١]. لقد بيَّنَ رسول الله ﷺ أنّ مَنْ يرتكس في حمأة الزّنا تتبلّدُ إحساساتُهُ ومشاعرُهُ عمّا يثمره الإيمانُ في القلوب والنّفوس، من مشاعر الغَيْرةَ على أعراض المؤمنين والمؤمنات، فينسلخ من جماعتهم؛ للنّفسيّة الشهوانيّة العدوانيّة الخبيثة القائمة فيه.

وروى الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزّانِي حينَ يزني وهو مؤمنٌ**»[٢].

فهذا دليلٌ على انسلاخ الزّاني والزّانية من المشاعر الإيمانية، والسّلوك الإيماني، في تحريم ما حرّم الله تعالى، فهما منتهكان لحرماتٍ جعلها الله تعالى حَرَاماً، لا يجوز الاقتراب منها، حفاظاً على الأعراض والأنساب!!..

البحث الخامس:

المراهق والزّواج المبكّر

إنّ المراهق ينمو بسرعة في جميع الأبعاد النّمائية، جسمية وعقلية ونفسية واجتماعية حتى تتوقف عمليات النّموّ في نهاية هذه المرحلة حيث تظهر علامات النّضج واكتماله جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً، ولهذا تختلف هذه العملية من فردٍ لآخر ومن بيئة لأخرى، ومن جنس لآخر، والعبرة باكتمال النّضج وليس بالعمر الزّمني الذي حدّده العلماء للمراهقة.

---

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب النكاح، باب النّهي عن الاختصاء.
(٢) صحيح البخاري برقم ٢٤٧٥ و٥٥٧٨ و٦٧٨٢.

وعلى ذلك فالمراهق من حين ظهور علامات البلوغ الجنسي ينمو في تتابع مستمر طوال هذه المرحلة، فهو بذلك غير ناضج جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً والزّواج مسؤولية وولاية على الأسرة تنشأ عادة بالزّواج، ويجمع العلماء المسلمون والنّفسيّون والتربويُّون والاجتماعيون على أن المراهق طوال هذه المرحلة الحرجة تشتدُّ حاجتُه إلى الرعاية والعناية التّامّة والتّوجيه والإرشاد عن حاجته إلى كل ذلك في مراحل حياته الأخرى، ويكاد يجمع علماء النّفس أنّ المراهقَ سريعُ التّقلُّب وسريعُ الانفعال، وهذه المظاهر من أقوى العوامل التي تحطم الأسرة، ومن الطبيعي أن من يحتاج إلى العناية والتّربية يعجز عن تربية غيره وتوجيهه، وعلى ذلك فالمراهق غير مؤهل للزّواج طوال هذه المرحلة حتى يتضح نضجه ويكتمل، وإن استطاعت الأسرة أن توفر له مطالب المعيشة الكاملة.

إن الرّجل العادي الذي يستطيع أن يكيّف نفسه للمجتمع الذي يعيش فيه تكيفاً ملائماً يتميز عادة بالخصائص الآتية:

١ - القدرة على التّزاوج والإنسال.

٢ - القدرة على إعالة نفسه وأسرته بكدّه وعمله.

٣ - القدرة على التعاون مع غيره من الرّجال.

٤ - القدرة على تحمّل نصيبه من المسؤولية من النّواحي الاجتماعية والسياسية والعقلية والثقافية والدّينيّة للمجتمع الذي يعيش فيه، وتلك أمور تتطلب درجة عالية من النّضج وهي درجة قد لا يصل إليها بعض المتقدمين في السّنّ[1].

إن حياة المراهق في المنطقة العربية بأسرها لا تتوفر لها هذه القدرات طوال هذه المرحلة، وربّما لا تتوفّر في مرحلة الشّباب، أو على الأقل في شطرها الأول، فإن تخرّج الشّاب من التّعليم الجامعي يكون عادة في السّنة الرابعة والعشرين من عمره، ومطالب الحياة الزوجية والمعيشة تتطلّب أعواماً أخرى حتى يتأهل الفرد من الجانب المادي للحياة الزّوجية.

---

(١) المراهقة، ص ٢١، وانظر رعاية المراهقين، ص ١١٥.

لا جدال في معاناة المراهقين والشّباب من ثورة الدافع الجنسي غير أن هذا لا يعالج بالزّواج المبكر إلّا أنْ يكتمل النّضجُ، ويجب أن ننظر إلى العوامل التي أدّتْ إلى معاناة المراهقين فنُعالجها بما يتفق مع شريعة الله وسُنّةِ رسوله ﷺ وأن يكون العلاج موجهاً إلى الأسباب الحقيقية للمعاناة، وأهم العوامل التي تُؤدّي إلى المُعَانَاة هي:

١ - خروج المرأة في زينتها وعدم التزامها في معاملاتها بالخُلُقِ والأدب الإسلامي.

٢ - الاختلاط في التعليم الإعدادي والثانوي والجامعي.

٣ - انحراف كثير من وسائل الإعلام. وحيث تنتشر الرّوايات الغرامية والصّور العارية في المجلات والصّحف اليومية. والأفلام والمسلسلات.

٤ - اشتمال بعض المؤلّفات التعليمية في الجامعة على بعض الرّوايات الغرامية الهابطة والمثيرة وعرضها على أنّها مثالٌ لخصائص المراهقة.

إنّ المعالجة الصّحيحة يجب أن تنحصر أولاً في العمل على إزالة هذه المثيرات ذات التّأثير الخطير في السّلوك النّفسي والاجتماعي للمراهق والشّاب ليعيشا في هدوءٍ وأَمْنٍ نفسي واجتماعي، وتنفيذ... الحدّ الشّرعي في جرائم الزّنا والشّذوذ، فإنّ الزّنا في حدّ ذاته جريمة تتعلّق به حقوق كثيرة أقواها وأولاها حقُّ الله تعالى، فلا مسوّغ لأحدٍ أنْ يعفو فيه أو أن يشفع[1].

(١) تربية المراهق، د. محمد السّيّد الزعبلاوي.